يمكن ان يكون المقصود بو فرس الماء فان لم يكن بقر الماء هو الاطوم فهو ليس فرس الماء . وقد جاء في القزويني ايضاً عند ذكره بحر القلزم (اي البحر الاحمر) " ومنها سمكة على خلقة البقر تلد وترضع بخلاف سائر السمك فانها تبيض "

❊ خروف البحر ❊ Manatus. E. Manatee. F. Lamantin جنس من بنات الماء يوجد في الاتلانتيكي وفي الانهار التي تصب فيهِ وهو الاسم الذي اطلقهُ العرب الذين كانوا برفقة الدكتور شوينفورث على هذا الحيوان[1] الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٣

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان مراد وبيعة ابنهِ السلطان بايزيد . ونحن موردون الآن خلاصة اخبار هذا السلطان

لقب بلدريم بايزيد اي الصاعقة لسرعة سيرهِ وفتوحهِ وقد لقبهُ الخليفة العباسي الذي كان مقيماً في مصر حينئذٍ بسلطان اقليم الروم بعد ان كان يخاطب اباهُ وجدهُ بلقب امير. اما مؤرخو العرب المعاصرون فظلوا الى ذلك الحين وما بعدهُ يسمون سلاطين آل عثمان باسم ابن عثمان كما سبق

وكانت فاتحة اعمالهِ انهُ ضرب الجزية على الصرب ولم يفتمها الى املاكهِ واتجه الى اسيا الصغرى وفتح مدينة فيلادلفيا وفي اخر مدينة بقيت للروم في اسيا الصغرى واستولى على جانب كبير من املاك علاء الدين صاحب قرمان وعاد الى اوربا واستعد لفتح بلاد اليونان ومنع الامبراطور يوحنا من تحصين القسطنطينية فمات كمدًا وخلفهُ ابنهُ منوئيل وكان محالفاً لبايزيد لكن محالفتهُ لهُ لم تمنع بايزيد من الاستيلاء على سالونيكي وحصر القسطنطينية وفتح ترنوفو عاصمة البلغار وودن ونيكوبوليس وسلستريا وذلك من سنة ١٣٩١ الى سنة ١٣٩٣ . وبلغهُ ان علاء الدين صاحب قرمان نقض عهد الطاعة وجهز جيوشهُ وقصد مدينة اقره فقصدهُ بجيش جرار والتقى بهِ في موضع يقال لهُ آق چاي واسرهُ واسر ابنيهِ محمدًا وعليًّا وحاصر مدينة قونية ورفق باهلها واذن لهم في حصد غلاتهم فاطاعوهُ وسلموهُ مفاتيح مدينتهم فاقتدى بهم غيرهم

(1) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth, II, p. 35

من اهالي المدن المجاورة مثل ليسبرية وبيكدة وقره حصار وفتح ايضاً سواس واماسية وتوقات وصامسون فلم يبقَ شيءٌ من الامارات التي قامت على اطلال دولة آل سلجوق الاَّ امارة قسطمرني وكان اسم اميرها بايزيد فغزاهُ وفتح بلادهُ فآلت كل بلاد السلاجقة الى آل عثمان

وعاد الى الرومللي فدوَّخ البلغار وجاباً من الصرب ومكدونية وتساليا واجتازت جنودهُ نهر الطونا ودخلت بلاد الفلاخ وبلاد المجر وحاصر القسطنطينيَّة عشر سنوات وقطع المدد عن اهلها ليضطرهم الجوع ليسلموا اليهِ. واتَّضح حينئذٍ انهُ سيتسلَّط على كل ما بقي من مملكة الروم في اوربا كما تسلط عليها في آسيا فنهض سجسموند ملك المجر ونادى بالنفير العام في اوربا وجمع جيشاً كثيفاً فيهِ الفان من اشراف الفرنسويين وحاصر مدينة نيكوبوليس من عواصم البلغار لكي يصرف بايزيد عن القسطنطينيَّة فبادر بايزيد اليهِ واوقع بهِ واسر جمًّا غفيراً من رجالهِ وحلفائهِ ونجا سجسموند بنفسهِ ولكن حلفاءهُ الفرنسويين أُسروا كلهم وقتل اكثرهم وكانوا هم سبب هذا الاندحار لتسرُّعهم وقلة صبرهم. ولولا قيام تيمورلنك (اي تمور الاعرج) حينئذٍ ووصولهُ الى برالاناطول لاستعبق السلطان بايزيد كل مملكة الروم الشرقية

وتيمورلنك من اعظم غزاة المشرق وهو ابن رئيس من رؤساء المغول ولد في كش على خمسين ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ واستولى على سمرقند وجيَّش الجيوش ودوَّخ مملكة ايران وجاباً كبيراً من بلاد الهند ثم شنَّ الغارة على البلدان الغربية ففتح حلَب وحماه وحمص وبعلبك ودمشق ودخل برالاناضول فاسرع السلطان بايزيد لملاقاتهِ ورد غاراتهِ

وهنا نلجأ الى مؤلف من الذين اسرهم تيمور ونشأوا في عهدهِ ووصفوا ما رأوهُ مرأى العين او سمعوهُ من الذين رأوهُ وهو القاضي شهاب الدين الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب شاه فان تيمورلنك سباهُ مع مَن سبي من اهل دمشق وهو في الثانية عشرة من عمرهِ واخذهُ معهُ الى سمرقند فاتى بها ايَّة من العلماء مثل محمد الجرجاني وشمس الدين الجزري والواعظ الترمذي وغيرهم من المشاهير فدرس عليهم واخذ عنهم لغة الفرس ثم خرج من سمرقند ورحل مع اهلهِ الى خوارزم واجتمع بعلمائها ودرس اللغة التركية وتوجه الى بلاد القرم وسكنها مدة ثم دخل بلاد الروم ونزل في ادرنه في عهد "الملك غياث الدين ابي الفتح بن عثمان" (وهو السلطان محمد جلبي الغازي) فاكرم مثواهُ وامرهُ بترجمة كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية ثم بعد وفاة ابن عثمان انتقل الى حلب ثم الى دمشق وطلب الديار المصرية وتصوف بها وتوفي فيها سنة ١٤٣٧ ولهُ من الكتب عجائب المقدور في اخبار تيمور واخبار الترك والتتر. ولما التقى تيمور بالسلطان بايزيد سنة ١٤٠٢ كان عمر ابن عرب شاه ١٤ سنة فلا يتعذَّر عليهِ ان

يدرك الاخبار التي كانت تصل الى سمرقند ثم ما جال في الاقطار ولقي العلماء وبحث ودقق حتى يؤلف كتابهُ عجائب المقدور وقف على اصح الاخبار وسهل عليهِ تمحيصها. ويؤخذ عليهِ انهُ لم ينسج كتابهُ على منوال الكتب التاريخية بل على منوال القصص الروائية والاشعار الحماسية وتحامل فيهِ على تيمور اشد التحامل لكن لا يصعب تجريد الحوادث التاريخية منهُ وهي ان تيمور راسل السلطان بايزيد وطلب منهُ ان يطرد السلطان احمد بن ادريس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركمان اللذين لجآ اليهِ. وكان ابن عرب شاه يسمي السلطان بايزيد في اول كتابهِ "بابي يزيد بن مراد بن ارخان حاكم ممالك الروم" ثم جعل يسميهِ بايزيد ولا ندري هل الاختلاف في التسمية من تحريف النساخ او انهُ جمع كتابهُ من تعليقات كانت عندهُ فكناهُ بابي يزيد قبل ان دخل بلاد الروم حاسباً اسمهُ كنية ثم جعل يسميهِ باسمهِ الحقيقي بعد اقامتهِ في بلاد الروم

والظاهر مما اوردهُ ابن عرب شاه ان السلطان بايزيد كان يتمنى لقاء تيمور فان القاضي برهان الدين ابا العباس حاكم قيصرية وتوقات وسيواس كان قد مثل برسل تيمور وقطع رؤوسهم وارسل بعضها الى الملك الظاهر ابي سعيد برقوق صاحب مصر والبعض الآخر الى السلطان بايزيد فاستحسن السلطان بايزيد هذا الفعل واستصوبهُ وارسل اليهِ يقول ان اودع تيمور عندهُ وانتحى والاَّ فلأتينهُ بجنود لا قبل لهُ بها. قال ابن عرب شاه واما الملك الظاهر فما رأيت لهُ كتاباً ولاحققت منهُ لهُ جواباً. والظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي يزيد. ثم قال في وصف السلطان بايزيد وكان ابن عثمان عندهُ ابن رفاعة وشجاعة ولم يكن عندهُ صبر ساعة. مع انهُ كان من الملوك العادلين وعندهُ تقوى وصلابة في الدين وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان وبواسطة عدلهِ ساعدهُ الزمان وقويت شوكتهُ في كل مكان فاستصفى ممالك فرمان وقتل ملكها السلطان علاء الدين وأسر لهُ عندهُ ولدان. . وصفا لهُ من حدود جبل بالقان من ممالك النصارى الى ممالك اذرنجان. فاحتاط من كتاب تيمور وكتب اليهِ الجواب يتحداهُ فيهِ ليجيء اليهِ فيبادرهُ تيمور بجنودهِ. وقال ابن عربشاه ان تيمور لجأ الى الحيلة واستمال التتار الذين في جند السلطان بايزيد وكانوا هم صلب العسكر حتى قيل انهم كانوا نحواً من ثلثيهِ "وكان مع ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) من اولادهِ اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعلتهُ التتار علم انهُ حق بابيهِ البوار فاخذ باقي العسكر وتهقر من ميدان المصاف وتأخر فلم يبقَ مع ابن عثمان الاَّ المشاة ومن دانهم وبعض من الكفاة

وقليل ساعة نشبت للمجادلة بين معهُ من الرفاق الى ان اخذ اسيرًا . وكانت هذه المعركة على شط ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة (٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢) ووصل الامير سليمان الى بروصى ممتقل بني عثمان فاحتاط على ما فيهِ من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى بر ادرنه

ثم فصَّل ابن عرب شاه كيف عامل تيمورلنك السلطان بايزيد اسيرهُ بالليل تارة وبالصف اخرى واكَّد انهُ كان مع تيمور مكبَّلاً في قفص من حديد وانما فعل ذلك قصاصًا كما فعل قيصر مع شابور وكان قد استصحبهُ الى ما وراء النهر فتوفي معهُ في بلاد الروم في آق شهر في ربيع سنة ١٤٠٣ (اي سنة ٨٠٥ هـ)

والذين نجوا من اولاد السلطان بايزيد وهم سليمان وموسى ومحمد تنازعوا الملك مدة احدى عشرة سنة فاستغلت البلغار والصرب والفلاخ ولكن ممالك اوربا الكبيرة لم تغتنم تلك الفرصة السانحة لاخراج الاتراك من اوربا لانها كانت مشغولة بامر الانشقاق في الكنيسة بل تزلَّف امراؤها الى السلطان سليمان حالما يويع الملك . ثم قُتل السلطان سليمان قرب ادرنه في اواسط سنة ١٤١٠ وهو منهزم من وجه اخيهِ موسى وتلقب محمد على موسى وقتلهُ قرب صوفيا وذلك سنة ١٤١٣ فتوسد الملك لهُ بعد ان حالف منوئيل امبراطور القسطنطينية واستعان بهِ على محاربة اخيهِ موسى ورد اليهِ كثيرًا من الاماكن في مكدونية وتساليا وخفض المكوس عن بضائع البلدان المحالفة كالبندقية وجنوى ورودس وكان لهُ اخ اسمهُ مصطفى اخفق في المعركة التي اخذ فيها ابوهُ اسيرًا فظهر حينئذٍ وطالبهُ بالملك واغار على افلم تساليا ثم هرب من وجه جنود اخيهِ واختفى عند حاكم سلانيك وكانت قد اعيدت الى امبراطور الروم فاحتفظ بهِ وجعل لهُ اخوهُ راتبًا سنويًّا

وتوفي السلطان محمد سنة ١٤٢١ (٨٢٤) وكان محبًّا للعلوم والعلماء وهو الذي قرَّب ابن عرب شاه فترجم لهُ كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية وسماهُ غياث الدين ابا الفتح بن عثمان كما تقدَّم . وخلفهُ ابنهُ السلطان مراد الثاني وكان شابًّا في الثامنة عشرة من عمرهِ فاطلق الامبراطور منوئيل عمهُ مصطفى لينازعهُ الملك فتغلَّب السلطان مراد عليهِ وامر بخنقهِ وبعث بالجنود الى بلاد اليونان بقيادة الوزير طرخان فقهر امراءها ووضع عليها الجزية . واصيب الامبراطور منوئيل بالفالج فاعتزل الملك لابنهِ يوحنا الثامن فعقد الصلح مع السلطان مراد ودفع اليهِ جزية بلاد المورة . واخذ السلطان مراد مدينة سالونيك واستعان الامبراطور يوحنا بالبابا فاهتم البابا بضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية والاستعانة

يملوك اوربا كلهم على اخراج الاتراك منها الاّ ان كهنة الكنيسة الشرقية ابوا ذلك هم وعامّة الشعب الارثوذكسي ولم يجب نداء البابا الاّ اهالي بولونيا والفلاخ والبجار فجيش ملك بولونيا الجيوش وتغلب على جنود الاتراك في نيش ووصل الى صوفيا وثار الالبانيون بقيادة اسكندر بك لكن ملك البجار عقد هدنة مع السلطان مراد الى مدة عشر سنوات وبموجب هذه الهدنة اخذت البجار الفلاخ وبقيت البلغار للاتراك وُردت السرب الى ملكها جورج براكوفيك وجعل الدانيوب حدًّا فاصلاً بين الاتراك والبجار . ثم نقض البجار شروط الهدنة فحاربهم السلطان مراد وفاز عليهم فوزًا مبينًا في واقعة وارنه وقتل ملكهم ولدسلو فخاف الامبراطور يوحنا وترضّاه بالمدايا وخاف البنادقة على تجارتهم فعقدوا معهُ شروط الصلح فوجّه عنايتهُ الى تدويخ مدن اليونان ففتحها عنوةً واسر منها ستين الفًا . وتوفي الامبراطور يوحنا الثامن في اكتوبر سنة ١٤٤٨ وخلفهُ ابنهُ قسطنطين الحادي عشر وهو الاخير من ملوك الروم وكانت مملكتهُ قد صارت محدودة بقصره وما يجاورهُ

ولم يكن فوز السلطان مراد في اسيا باقل من فوزهِ في اوربا فاسترد الامارات التي اعاد تيمورلنك استقلالها اليها وفتحى عن الملك مدة ثم عاد اليهِ وتوفي في الخامس من فبراير سنة ١٤٥١ وخلفهُ ابنهُ السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية

الانسان ظهير اعدائه

عدوان للمرء نارٌ وماء وضدانِ هذي الثرى والسماء
اذا ساءهُ كونهُ في الظلام فما سرهُ يا هديم الضياء
لقد ملأ الكون بالزعجات وهل نطَّ في الكون يُنفى خلاء

خُلقتَ ولوعًا يحب البقاء وساق الفناء اليك البقاء
اغطّى البصيرة منك العمى متى عنك يكشف ذاك الغطاء
نقلتَ لكن بحجر الخطوب وما انت في الكون الاّ هباء
علمتَ وعلمك جهلٌ وجهلك علمٌ ومن ذين كان البلاء
ومن كان من نفسهِ داؤهُ فقد عزَّ يومًا عليهِ الدواء

وهبهُ اطاعك حدّ (البحار) والقى اليك القيادَ (الهواء)